ثلاثة تكره — القساوة والجهل والبخل
ثلاثة يسر بها — الجمال والمحبة والحرية
ثلاثة تجتنب — الكسل والنميمة والغيبة
ثلاثة تتبع — الكتب المفيدة والاصدقاء والسجايا الطيبة
ثلاثة يقنع بها — الشرف والوطن والاصدقاء
ثلاثة تحكم — الطبع واللسان والمعيشة
ولكن احسن الثلاثات هي التي انتقاها العرب في هذا البيت
ثلاثة تنفي عن القلب الحزن الماء والخضرة والشكل الحسن

ملح

قال رجل لخطيب ابنته اراك اقللت من ترددك علينا فماذا يوجد بينك وبين ابنتي فاجابه الرجل على الفور لا يوجد بيننا الا انت

* * *

قال رجل لآخر مولع بالكلاب سمعت انه يوجد بين الكلاب نوع يفهم الكلب منه اكثر من صاحبه فهل هذا صحيح فاجابه الرجل مسرعا نعم يوجد وقد اقتنيت بالامس واحداً منها

* * *

قال رجل لآخر انني اظن ان امرأتي اجهل امرأة في المدينة كلها فاجابه ان ذلك من المرجح لان امرأتي الان في الريف

أبو الجلبس

الجزء السادس — السنة السابعة

{الاسكندرية في ٣٠ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤}

{الموافق ١٦ ربيع ثاني سنة ١٣٢٢}

تفاوت العقول

ينظر الانسان من الخواص الى الرجل الحقير ينهض بالاحمال ويرفع الاثقال ويباشر مشاق الاعمال فيقول في نفسه ما اشد قساوة الطبيعة على هذا المخلوق الشقي وما ابعده عن الرحمة واقصاه عن العدالة واني انسان مثله خلقة وتكويناً وشبيهه طبعاً وغريزة ولكنني انعم منه معيشة واحسن حالاً واقل جهداً وانه قد يمرّ عليّ الحول فلا أحسّ بقطرة عرق ولا اشعر بتعب يد او قدم فلماذا قد رُحمت كل هذه الرحمة وظلم كل هذا الظلم . حقاً ان الطبيعة مشوشة الارزاق مضطربة الاقسام وانه لو قام على الدنيا من يعدل لما كان فيها المكدود المجهود يشتغل من مفتتح يومه الى مختتم نهاره وهو يكاد يسيل عرقاً ويذوب حراً وتعباً والمجدود المرزوق وهو يكاد يذوب

جسمه لطافة وتسيل بشرته نعومة ثم يظل هذا الخاصي متماديا في اعتقاده وهو ينظر الى ذاك العامي حتى يوشك ان يستعبر لفرط اشفاقه وحنوه ورقة شعوره واحساسه

على ان هذا الشعور انما هو شعور كل انسان شفيق رحيم ينظر الى ظواهر الامور دون التعمق فيها ولكنه لو امعن في بحثه ونظره لوجد انه افرط في رقته وابعد في لطفه لان ذاك الرجل الذي قد اعتدّه من اشقى مخلوقات الله واشدها نصباً واكثرها بعداً عن رحمة الطبيعة انما هو على فرق يسير عن الحيوان الاعجم لان الانسان لا يتميز عن الحيوان الا بالنطق الذي هو علة المدنية ودليل الانسانية وسبب التفاضل في الفهم والادراك وليس ذلك الانسان الذي اشفق عليه الا على قرب من الحيوان لان دائرة نطقه محدودة ونطاق فهمه ضيق فهو لا امل يجول في صدره ولا نية بعيدة يتوقعها ولا هوًى في نفسه يعذبه ولا تبعة تشغل فكره وتقلقه بل ان اكثر همه من دنياه رغيف ياكله وساعة راحة يقضيها وليل هادئ ينام فيه فهو بذلك قريب الشبه بالحيوان لاننا نشاهد الحصان يجد ويكد فنقول ان كل الشقاء قد وقع عليه ولكنه حين يحل لجامه ويدنو من الطعام ليأكل ويستريح يتمثل لنا انه قد حاز كل السعادة لان دلائل ذلك تكون بادية عليه وانما يكون هذا لانه لا عقل له ولا نية بعيدة يحاولها والى ذلك يشير ابو الطيب المتنبي بقوله

لولا العقول لكان ادنى ضيغم ... ادنى الى شرفٍ من الانسان

وقوله

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقد اشار الى هذا ابو الحسن التهامي بقوله

تظن اناتي الجهلاء وقراً ... وهذا الوقر اكثره وقار

ولو ساد الصبور بغير حلم ... اذن لاقتاد قائده الحمار

اما الشقي الذي يحسن الاشفاق عليه وتجب الرحمة له فهو ذو العقل الذي يشتغل دماغه حتى لا يهدأ والذي ينظر فيرى التبعات ملقاة عليه من كل جانب حتى لا يستقر له قرار ولا يطمئن له فكر وانك لتراه محفوفاً بالخدم والاعوان والمساعدين كلهم يطيعونه ويتراكضون لقضاء حاجاته فنقول هذا هو السعيد بجملة السعادة والمستريح بكل الغبطة ولكنك لو ابعدت نظرك قليلاً لوجدت هذا المخدوم المستريح الجسم دون خدامه انما هو خادمهم في الحقيقة لانه مسؤول عن كل اعمالهم مطالب بكل اغلاطهم متعين عليه العقاب والغرامة دونهم فتعتقد حينئذٍ انه وحده في جانب وهم كلهم في جانب ولذلك قد ترى اجره على عمله الهين في الظاهر وهو معادل لكل اجورهم . وليس هذا الا لانه اقرب منهم الى الاهانة او القصاص او المرض او الموت . وانك حين تنظر الى الجيوش الجرارة يقتادها الافراد ويقذفون بها الى موارد الخوف تعتقد لاول النظر انهم مغلوبون على ذلك بقوة غلبت قوتهم مع انهم في الحقيقة كل القوة ولكنك حين تمعن في النظر تجد انهم لا يفرقون كثيراً عن الانعام وقد تملقهم الافراد تملقاً فاقتادوهم مع انهم لو كانوا من ارباب المدارك السامية كالذين يقودونهم لكان من المستحيل ان يكونوا عساكر ويجتمعوا كل هذا الاجتماع على شيء لو نالهم كل نفعه وجزئ فيما بينهم لما كان لواحدهم منه شيء يذكر في جنب تعريض نفسه للقتل وارتكابه جريمة قتل غيره وانه من اجل هذا ومثله قالوا لا تكاد البهائم تختلف

الا انه من المحال ان يكون الشقاء معدوما بين الناس وغير حاصل بكل معناه ولكنه حين يقع لا يكون على الحمال في الشارع والعامل في المقطع وامثالهما بل هو يقع على صاحب الادراك الواسع والاماني البعيدة الذي يدفعه سوء حظه او هفوة من هفواته الى الاضطرار لان يكون حمالاً وخادما جاهداً فانه في هذه الحال يكون متحملاً مصائب النفس والجسد في آن واحد فترى يده تعمل وجسمه يتعب وذهنه يجول وافكاره تضطرب واماله تروح وتجيء والحيلة معه تشتد وتضعف بحيث يغدو كأنه قطعة مجسمة من شقاء محض وبؤس صرف

ثم انه ليس شرطاً ان يكون حمالاً او حجاماً ليكون كذلك بل يكفي لشقائه ان يكون عارفا بمنزلة نفسه ثم تخونه الاقدار بان ينزل درجة واحدة عن تلك المنزلة فانه حينئذٍ يكون شقياً ويكون من حقك ان تأسى له حين تراه كذلك ولعل اكثر الذين ينتحرون يكونون من رجال هذه الاوصاف لان العامل الجاهل يندر ان ينتحر كما هو الشأن في البهائم اذ يندر بينها الانتحار

الاحتيال على المال

صار للغنى بين الناس اسباب كثيرة لا تعد وذلك لفرط ما امعنوا في التحصيل ومالوا الى الاختراع والاستنباط حتى صار الانسان صنيعة عقله وكده بعد ان كان صنيعة بخته اومورثه ولكن الناس مع كل الذي توصلوا اليه لم يشأوا ان يدعوا هذا البخت دون ان يستفيدوا منه اذ هو ذو العلاقة الاولى بكل عمل مهما بدا في الظاهر انه لا دخل له فيه ولذلك اكثروا من المراهنات والاعتماد على الانصبة حتى صار غير غريب لديك ان تمر اليوم بالرجل فتراه حمالاً وتمر به في الغد فتراه موسراً غنياً بنصيب ناله او مراهنة غنمها او مقامرة ربح بها او غير هذا مما ولدته المدنية واعانت عليه كثرة المال بين الايدي

ولكن بعض الناس كأنهم رأوا ان البخت لا قيد له ولا نظام ولا هو بمضمون النيل لدى كل محاولة فعمدوا الى التدجيل والمخرقة معتمدين في ذلك على الجوانب الضعيفة من عقول البشر كالايهام بالشفاء من الامراض المعضلة او حكاية ما يجيء به الغد والاطلاع على مغيبات القدر وقد نجح الكثيرون في ذلك نجاحاً فات النجاح من الحظوظ بمراحل

الا ان اكثر الحيل جوازاً على عقول البسطاء حتى اولي الفهم هو استنباط العقاقير والتراكيب الكيماوية وايهام الشفاء بها فانها لا يزال لها في اوربا المجال الواسع ولاصحابها منها الرزق الشامل الا انها ليست كلها ادوية